مجنون العرب ..
مغامرات لها العجب !

بقلم : حسن توفيق

تربطني مع مجنون العرب علاقة صداقة صادقة وعميقة ، لأنها صداقة لا ترتبط بمصالح شخصية له أو لي ، فنحن نلتقي معا في معظم الليالي لكننا لا نلتقي إلا على الحب، وعلى الإيمان بأن الحياة يمكن أن تكون أجمل مما هي عليه، وهذا ما يدفع المخلصين من الناس إلى مقاومة الظلم والطغيان ، والبحث عن الوسائل الكفيلة بأن يصبح الإنسان أخا حقيقيا للإنسان ، لا بمجرد الأقوال الحلوة والمزوقة التي تنطلق وتتردد على الشفاه، وإنما بالأفعال التي تحاول أن تزيح البؤس من قلوب البؤساء وأن تخفف من معاناة التائهين في صحراء الحياة .

لكن صداقتي مع مجنون العرب لا تعني أني مجنون مثله أو أنه عاقل مثلي ، فكل ما في الأمر أنه يروي لي مغامراته الغريبة التي يؤكد أنه قام بها، ثم يطلب مني أن أدون أحداثها ووقائعها وما جرى له فيها، وبالطبع فإني أستجيب لطلب هذا الصديق المجنون، وأبادر بتسجيل تلك المغامرات الغريبة على الورق أو على الكمبيوتر بشكل مباشر ، دون أن أكون مسؤولا عما فيها من شطحات أو أمور قد لا يصدقها العقلاء أو يرون أنها تخاريف ، وعلى هذا الأساس فإني قمت بتسجيل الكثير من تلك المغامرات التي صدرت في كتابين أولهما بعنوان مجنون العرب بين رعد الغضب وليالي الطرب، والكتاب الثاني بعنوان ليلة القبض على

مجنون العرب ، لكني كنت ألاحظ أن صديقي كان يطمح أو يطمع في أن يرى هذين الكتابين متجاورين ضمن مجلد واحد يحتضنهُما معا ، وبالطبع فإن من حقه الآن أن يتباهى بأن طموحه قد تحقق وبأن ما كان يطمع فيه قد تحول إلى واقع يراه بعينيه ويمسكه بكفيه !

فيما يتعلق بالكتاب الأول فإن مجنون العرب يحب أن يرى العجب، ولهذا السبب فإنه لا يطيق أن يغمض عينيه ، كما أنه يبيح لنفسه أن يتجسس بأذنيه، ولهذا فإنه يستطيع أن يرى لمسات العشاق للعشاق، وأن يرصد همسات الأشواق ، ولايتردد هذا المجنون في استخدام ما لديه من حيل، طالما أنها تفتح أمامه السبل .. فلديه طاقية للإخفاء ، تخفيه عن الأنظار حين يشاء ، ولديه بساط الريح ، وبفضله يتنقل وهو مستريح ، كما أن لديه صاروخا عابرا للزمان ، يمكنه من الوصول بكل أمان إلى أي زمان كان !

وبفضل هذه الحيل وسواها ، وبفضل وسائل أخرى أهديت له أو اشتراها ، تمكن مجنون العرب أن يتنقل دون أي تعب ما بين مكان ومكان ، وأن يطير من زمان إلى زمان، وأن يلتقي مع أصدقاء أعزاء لم يعودوا من الأحياء ، وأن يستمع إلى شعراء عظماء، ممن غابوا عن الدنيا منذ سنوات وسنوات، أو حتى منذ قرون غرقت في بحر الظلمات ، ومع كثرة التنقلات والأسفار والرحلات أتيح له أن يعرف ما لم يكن يعرف ، وأن يعيش كالوتر المشدود بين رعد الغضب وليالي الطرب !

أما الكتاب الثاني فإننا نعرف من خلال صفحاته الأولى أن أمير الشعراء أحمد بك شوقي قد قطع إجازته التي كان يقضيها في أحد منتجعات الدار الآخرة التي يقيم فيها منذ يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٩٣٢ حيث طلب من الإنتربول السماوي سرعة إلقاء القبض على مجنون العرب ، وبعد تسوية الخلافات العربية – العربية بين الإثنين تحقق الوئام ولم يعد بينهما خصام ، فاقترح أحمد شوقي أن تتوج المصالحة بينهما بأن يكون عنوان الكتاب ليلة القبض على مجنون العرب ، وتمت الموافقة على الاقتراح دون أن يعترض أحد بفيتو أو يمتنع سواه عن التصويت !

يتضمن هذا الكتاب الثاني العديد من الرحلات والمغامرات والحكايات ، منها حكاية الخروف الذي استنجد بالمجنون ، بعد أن رأى المسلمين وهم يذبحون أقاربه

ويأكلون من لحمهم الضاني ، خصوصا في عيد الأضحى ، وقد تم تحويل هذا الخروف بعد طول تفكير إلى خنزير ، لكنه اكتشف أن المسيحيين لن يرحموه ، ولحل المعضلة أو المشكلة تمت عملية تحويله إلى بقرة فأصبح معبود الهندوس وبمجرد شعوره بأنه أصبح بقرة تحول إلى طاغية مستبد ، يقوم أعوانه بتهريب الهدايا والقرابين من الهند إلى بنوك سويسرا وسواها من البنوك الأجنبية !

إلى جانب حكاية الخروف ، هناك حكاية الحمار الذي اعترف للصحافة بأنه لا يحب النظافة ، وحكاية أخرى عن أفعى غادرة تتسلى بامرأة فاجرة ، ظلت تزعم أنها طاهرة ، فضلا عن حكايات أخرى كثيرة ، يمكن أن يصدقها أو يكذبها العقلاء ، وإذا كان الكتاب الأول يهتم بحكايات المجنون مع الناس وخصوصا الشعراء ، فإن الكتاب الثاني يركز على حكايات المجنون مع الطيور والحيوانات .

والآن تبدأ الرحلة مع مغامرات المجنون ، لكني بالطبع لست مسؤولا عما قد يحدث ، فأنا مجرد مدون ومسجل لتلك المغامرات ، ومستعد لأن أتبرأ منها إذا أحسست أنها ستوقعني في مأزق !

حسن توفيق

الأول من مارس ٢٠١٢

obeikandl.com